أجمل ما قرأت

عبد العزيز الشناوى

رســـوم
عبد الرحمن بكر

مكتبة جزيرة الورد
تقاطع شارع الهادى وعبد السلام عارف
ت/ ٣٥٧٨٨٢

مكتبة جزيرة الورد
المنصورة. تقاطع شارع عبد السلام عارف وشارع الهادى
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

- **التفاحة**:

تعجبت عندما جاءنى محمد ابن عمى وقال لى:

ـ تعال.. إن جدك يريد أن يراك

فقلت له:

ـ ألا تعلم لماذا بعث جدى فى طلبى؟

مط محمد شفتيه وقلب كفيه ورفع كتفيه بحذاء رقبته وقال:

ـ الله أعلم..

واستفحلت دهشتى عندما وجدت شيماء بنت عمتى عند جدى الذى جلس وأمامه تفاحة وسكين.

حطت عيوننا على التفاحة اليتيمة، لماذا لم يأكلها جدى قبل حضورنا؟ لماذا لم يحضر أربع تفاحات ليأخذ كل واحد منا تفاحة؟ لماذا تفاحة واحدة.. فقط؟

وقبل أن نجد جواباً شافياً لأسئلتنا التى تموج بين جدران رءوسنا تبسم الجد وقال:

ـ هل تعلمون يا أحفادى لماذا بعثت فى طلبكم اليوم؟

قلنا:

ـ الله أعلم

قال جدى:

ـ لن أتحدث إليكم ولكن أنتم الذين ستتحدثون اليوم

ثم سكت.. ونظر نحو التفاحة ثم تساءل:





- هل تحبون التفاح؟

قلنا فى صوت واحد:

- ومن لا يحب التفاح؟

تبسم الجد وقال:

- أترون هذه التفاحة..؟

قلنا:

- نعم

قال الجد:

- سأمنح هذه التفاحة لمن يروى لنا أحسن وأجمل قصة قرأها

فهتف محمد وهو يلتهم التفاحة بعينيه:

- أنا أول من يحكى أجمل ما قرأت

قالت شيماء:

- بل أنا أول من يروى أجمل ما قرأت

قال الجد:

- لا أنت ولا هو

ثم نظر نحوى وكأنه يقول لى:

- ابدأ أنت أولاً

• بارك الله فيكم من آل بيت

سكت قليلاً وكأنني أبحث فى ذاكرتى عن أحسن قصة قرأتها.. ثم لمعت عيناى وكأننى وجدت ضالتى المنشودة فقلت:

كان أبو قدامة أحد قادة المسلمين فى غزواتهم ضد الروم. وذات يوم كان أميراً فدعا إلى الجهاد فى سبيل الله، فجاءته امرأة عجوز بورقة وصرة. فنشر أبو قدامة الورقة ليقرأها ولينظر ما فيها. فإذا فى تلك الورقة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من أمة الله المسلمة إلى أمير الجيش

أما بعد ....

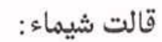
فإنك دعوتنا إلى الجهاد فى سبيل الله، ولا قوة لى على الجهاد. ولا مقدرة لى على القتال. وهذه الصرة فيها ضفيرتاى. فخذهما قيداً لفرسك. لعل الله يكتب أن لى شيئاً من ثواب المجاهدين.

فشكر أبو قدامة الله عز وجل على توفيقها، وعلم أن المسلمين يشعرون بواجبهم ويتكتلون ضد أعدائهم.

ولما التقى جيش المسلمين وجيش الروم أبصر أبو قدامة غلاماً حدثاً فظن أن هذا الصبى ليس أهلاً للقتال لصغر سنه، فزجره أبو قدامة رحمة به

فقال الصبى:

- كيف تأمرنى بالرجوع وعدم قتال بنى الصفر وقد قال تعالى "انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً" سورة التوبة الآية: ٤١



قالت شيماء:

- ما معنى (انفروا خفافاً وثقالاً)؟

قال الجد:

- الخفيف: الشاب، والثقيل: الشيخ

وقيل:

- الخفيف: الذى لا عيال له، والثقيل: الذى له عيال

وقيل:

- الثقيل: الذى له ضيعة أى مزرعة يكره أن يدعها، والخفيف: الذى لا ضيعة له

فتركه أبو قدامة، فأقبل الصبى عليه وقال:

- أقرضنى ثلاثة أسهم

فقال له أبو قدامة وهو معجب به ومشفق عليه:

- إنى أقرضك ما تريد بشرط

فتساءل الصبى:

- ما هو هذا الشرط؟

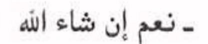
قال أبو قدامة:

- أن تشفع لى إن مَنَّ الله عليك بالشهادة

يقول أبو قدامة:

- وكنت أشعر نحوه بمحبة وتقدير

فقال الصبى:



ـ نعم إن شاء الله

فأعطاه أبو قدامة ثلاثة أسهم

ثـم أقـبل الصـبى عـلى بـنى الأصفر فى قوة وحماس، وكانت عينا أبى قدامة لا تفارقه طوال المعركة إعجاباً به، واشفاقاً عليه، وظل الصبى يجول ويصول حتى خلصت إليه الجراح، كان الدم يسيل من جسده، وهو يثب وثوب الأسد الجريح، لقد وطد العزم عـلى أن يقـاتل كـل مـن هـبره بسـيف أو طعنه برمح أو رماه بسهم قبل أن تصعد روحه الطاهرة إلى عليين.

وقـاتل الصـبى حـتى سقط على الأرض، فأقبل عليه أبو قدامة وهو فى أخر رمق فسأله:

ـ هل تريد طعاماً أو ماءً؟

قال الصبى:

ـ لا إنى أحمد الله على ما صرت إليه، ولكن لى حاجة

فقال أبو قدامة فى لهفة:

ـ ليس أحب إلىَّ من قضاء حاجتك يا بنى، فمرنى بما تشاء

فقال الصبى وهو يجود بأنفاسه الأخيرة:

ـ أقرىء أمى مني السلام، ثم ادفع إليها متاعى

فتساءل أبو قدامة:

ـ ومن أمك أيها الشاب؟

قال الصبى:



- أمي هي التي أعطتك شعرها ليكون قيداً لفرسك حين عجزت عن أن تقاتل في سبيل الله تحت لوائك

قال أبو قدامة:

- بارك الله فيكم من آل بيت

ثم فارق الصبي الحياة فقام أبو قدامة نحوه بما يجب ولكن حدثت مفاجأة، فلما دفن أبو قدامة الصبي لفظته الأرض. فدفنه مرة أخرى. فلفظته الأرض أيضاً. فأعمق أبو قدامة له في الحفر ثم دفنه. فلفظته الأرض مرة ثالثة فقال:

- لعله خرج مجاهداً في سبيل الله بغير رضا أمه

وصلى أبو قدامة ركعتين. ودعا السميع البصير أن يكشف له عن أمر ذلك الصبي. فسمع هاتفاً يقول له:

- يا أبا قدامة: دع عنك ولي الله.

فتركه وشأنه. فقد علم أبوقدامة أن للصبي مع الله حالاً.

وبينما هم كذلك إذ بطير قد أقبل فأكل الصبي

وتعجب أبو قدامة كثيراً. ثم رجع إلى أمه تنفيذاً لوصيته. فلما رأت الأم أبا قدامة أقبلت عليه وتساءلت:

- ما وراءك يا أبا قدامة؟ هل جئتني معزياً أم جئتني مهنئاً؟

قال أبو قدامة:

- وما معنى ذلك يا أمة الله؟

قالت الأم:



- إن كـان إبـنى قـد مـات فقـد جئتنى معزياً، وإن كان قد قتل فى سبيل الله وظفر بما كان يطمع فيه من الشهادة فقد جئتنى مهنئاً.

فقال أبو قدامة:

- بل جئت مهنئاً.

ثـم قص عليها قصة ابنها، وأخبرها أن الطير جاء وأكله فقالت الأم وهى تحمد الله عز وجل:

- لقد استجاب الله لدعائه

قال أبو قادمة:

- وما ذاك؟

قالت الأم:

- إنـه كـان يدعـو الله فـى صـلواته وخلواتـه ويقـول فـى صباحه ومسائه: اللهم احشرنى فى حواصل الطير، والحمد لله على تحقيق أمله وأجابه دعائه

قال الجـد:

قال الذى لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم:

أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر معلقة فى قناديل تحت العرش تسرح فى الجنة حيث تشاء، فيقول جل جلاله:

- لكم حاجة؟

فيقولون:

ـ ربنا ردنا إلى أجسادنا نستشهد في سبيلك (رواه ابن زنجويه عن نعيم بن سالم عن أنس)

نظر جدى نحوى وكأنه يقول لى:

أكمل حديثك

فقلت:

يقول أبو قدامة: فانصرفت عنها، وقد علمت لماذا كتب الله لنا النصر والتأييد على الروم؟

فصفق الجد وقال فى انفعال:

ـ بارك الله فيك، بارك الله فيك، ولكن..

هتف محمد وشيماء:

ـ ولكن ماذا؟

قال الجد:

ـ لى تعقيب

فنظرنا إلى شفتى جدى اللتين انفرجتا عن بسمة عريضة ثم قال:

قال أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما كان يوم أحد مر رسول صلى الله عليه وسلم بحمزة بن عبد المطلب وقد جدع ومثل به فقال: لولا أن تجد صفية لتركته حتى يحشره الله من بطون الطير والسباع (رواه الحاكم فى المستدرك عن أنس)

فقال محمد:

- ما معنى جدع ومثل به؟

قال الجد:

- جدع أى قطع ومثل به: قطع المشركون أنفه وأذنيه وبقروا بطنه

قالت شيماء:

- ما معنى تجد، ومن هى صفية؟

قال الجد:

- تجد: تحزن وتغضب. أما صفية فهى عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخت حمزة بن عبد المطلب

ثم نظر جدى نحو محمد وكأنه أراد يقول له:

- احك لنا أجمل ما قرأت

• الصلاة والرزق

قال محمد:

- خرج بعض العباد بالبصرة يشترى حطباً فوجد صرة مكتوب عليها: فيها مائة دينار

فسمع إقامة الصلاة، فبادر إلى الجامع وترك الصرة

- ولما انتهى الرجل من صلاته تذكر المائة دينار، فخرج من الجامع مسرعاً فلم يجد الصرة مكانها، فقال:

"قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا" سورة التوبة الآية :٥١

وانطلـق الـرجل إلى السـوق فاشـترى حـزمة حطـب ورجـع إلى داره، فلما نفض الحزمة سقطت منها الصرة التى كتب عليها:

فيها مائة دينار

فرفع الرجل يديه إلى السماء وقال:

ـ اللهم كما لم تنس عبدك من رزقك، فلا تجعله ينساك فى أوقات الصلاة

فصفق الجد وقال:

ـ بارك الله فيك. ولكن لى تعقيب

ثم عبثت أنامله فى لحيته وكأنه يحثها على شىء قد نسيه.. ثم هتف:

قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم:

خلـق الله مديـنة فـى الجـنة يقـال لها مدينة الجلال. وفيها قصر يقال له قصر العظمـة، وفـيه بيـت يقـال لـه الرحمة، وفيه أربعة آلاف سرير وأربعة آلاف حوراء. وفيه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

قيـل:

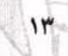
ـ لمن هذا يا رسول الله؟

قال عليه الصلاة والسلام:

ـ لمن صلى الصلوات الخمس فى الجماعة

قلت:

ـ ما معنى حوراء؟



قال الجـد:

- واحدة من الحور العين بنات أهل الجنة

ثم نظر جدى نحو شيماء

• السمكة

قالت شيماء:

أخـذ رجـل مـن أعـوان السـلطان سمكـة من صياد قهراً عنه، فلما أخذها وأصلح أمرها وأراد أن يأكلها فتحت فمها وعضته على أصابعه عضة شديدة، فذهب إلى الطبيب فقال له:

- اقطع أصبعك

فقال الرجل:

- أليس هناك وسيلة أخرى أو .. ؟

قال الطبيب:

- لا..

وقطع الطبيب أصبع الرجل وسرى الألم إلى الكف، فسأل الرجل الطبيب:

- ما العمل؟ إنى لا أنام من شدة الألم.

قال الطبيب:

- لا مفر من قطع الكف وإلا سرى الألم إلى الساعد

فخرج الرجل هارباً، ونام تحت شجرة فسمع هاتفاً فى المنام يقول له:

ـ اذهب إلى الصياد وأعطه شيئاً من المال ثمناً للسمكة، فقد ظلمته وسلْه الرضا عنك.

فقام الرجل من نومه، وانطلق إلى الصياد

صفق الجد ثم قال:

ـ بارك الله فيكم يا أحفادى، ولكن..

فضحكنا وقلنا:

ـ ولكن لى تعقيب، فما هو يا جدى؟

فتبسم الجد وقال:

حذرنا طبيب القلوب والعقول والنفوس صلى الله عليه وسلم من الظلم وأخبرنا أنه ظلمات يوم القيامة يوم الحسرة والندامة فقال:

إياكم ودعوة المظلوم، فإنما يسأل الله حقه، وإن الله لن يضيع لذى حق حقه (رواه الديلمى عن على رضى الله عنه)

وقال السراج المنير صلى الله عليه وسلم:

ـ إن العبد إذا ظلم فلم ينتصر، ولم يكن له من ينصره، ورفع طرفه ـ بصره ـ إلى السماء فدعا الله، وقال الله:

لبيك أنا أنصرك عاجلاً وآجلاً (رواه الحاكم فى تاريخه، والديلمى عن أبى الدرداء)

وسكت الجد ثم حبت عيناه المتسائلتان على وجوهنا.. ثم امتدت يده نحو التفاحة

وتساءل:

- من يستحق هذه التفاحة؟

تبادلنا النظرات.. ثم اهتزت رؤوسنا فقلت أنا ومحمد وشيماء فى صوت واحد

- صاحب التعقيب

هتف جدى فى دهشة:

- أنا؟

قلنا:

- نعم أنت

قال الجد:

- لماذا؟

قلنا:

- لأنك عقبت على قصصنا الثلاث أجمل تعقيب

احتضن الجد رأسه بيديه لحظة، ثم امتدت يده نحو السكين، وجعل التفاحة أربعة أجزاء.

